الرواية العربية الجديدة عند محمد برادة

الدكتور

فرح مهدي صالح

جامعة القادسية - كلية التربية

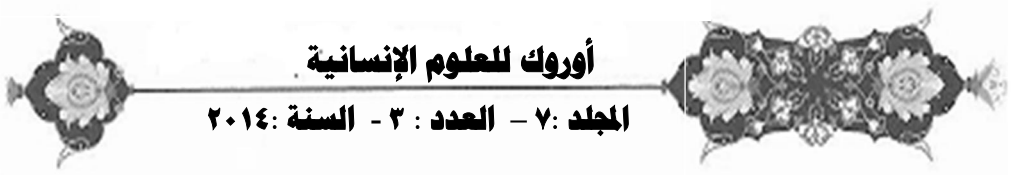

الرواية العربية الجديدة عند محمد برادة

الدكتور
فرح مهدي صالح
جامعة القادسية - كلية التربية

المقدمة :

يُعبر مصطلح الرواية الجديدة عن اتجاه جديد في الكتابة الروائية متمثلاً بالنصوص الروائية التي كتبت بعد الستينيات من القرن العشرين ، وقد تتشكل هذا الاتجاه بجهود أسماء عديدة مثل ناتالي ساروت وآلان روب غرييه وكلود سيمون وميشيل بوتور ومرغريت دوراس ، وعربياً بجهود روائيين كثر مثل إدوارد الخراط وصنع الله ابراهيم وجمال الغيطاني ووليد إخلاصي ومحمد شكري ويوسف العقيد ومجيد طوبيا وفؤاد التكرلي وغائب طعمة فرمان وغيرهم .

وقد ارتبط مصطلح الرواية الجديدة بجملة من التحولات التي حدثت عالمياً وعربياً المتمثلة بالحرب العالمية الثانية ونكبة حزيران ١٩٦٧ التي جعلت من الكتابة السردية العربية تجاري إحساساً هائلاً بالمحنة التي خلفتها النكسة ، أو لربما تتنبأ بأبعاد هذه المحنة[١] لتدخل أرضاً جديدة ، إذ طرئت على الشكل الروائي والرواية وأشكال المقاربة وطرائق تصوير الشخصيات وبناء الحدث تبدلات عميقة طالت نوعي الرواية والقصة[٢] . وأصبحت الكتابة الستينية وما تلاها من سبعينية وثمانينية وتسعينية أكثر إقتراباً من الهواجس الفردية للبشر ، وابعد ما امكنها ذلك عن التقليدية وتصوير الكامرا الخارجية للاحداث والشخوص والاهم من ذلك أنها أصبحت أقل يقينية وألصق بضمير المتكلم ، ومسرودة بعين المراقب[٣] . فالكتابة السردية العربية أصبحت ((اختراقاً لا تقليداً ، واستشكالاً لا مطابقة ، واثارة للسؤال لا تقديماً للاجوبة، ومهاجمة للمجهول لا رضى عن الذات بالعرفان))[٤] . أنها تجسد قلقاً

وجودياً يتمركز حول الذات ضد الواقع والمجتمع بوصفهما السبب في كل ما جرى على حد تعبير ((سعيد يقطين))[٥] .

واذا كانت الرواية العربية الجديدة تقيم تقاطعاً مع الرواية الفرنسية الجديدة في الرغبة في انتهاك الشكل والتعبير بصورة جديدة عن العالم ، غير الصورة التي عبرت بها ((الرواية الواقعية)) عن العالم ، وإلغاء حضور الشخصية الروائية وإلغاء الحركة في الزمان وجعل المكان هو الشخصية الفاعلة في النص الروائي ، فأنها لا يمكن أن تنتسب الى الافق نفسه ، لان لكل رواية زمنها وظروفها وكتابها وقراءها ولها ايديولوجيتها المنبثقة من ذيول الحرب العالمية الثانية ، فلا يمكننا ان نعد الرواية العربية الجديدة محاكاة للرواية الفرنسية الجديدة لان غرض الرواية العربية الجديدة هو ((وصف تشوش الرؤية والقبض على تماسك الاشياء وهي تنهار ، بينما يتلخص غرض الرواية الفرنسية الجديدة في وصف الاحاسيس الانسانية وقد تشيأت، في وصف غياب الانسان ، واغترابه ، في منظومة الحضارة الرأسمالية الغربية المعاصرة))[٦] .

وإذا كانت الرغبة في انتهاك الشكل وطريقة تقديم الشخصيات ، وعلاقة الزمان بالمكان ، وتدخلات الكاتب وشروحاته الضمنية ، وأشكال الرواة ، هي ما ميز الرواية العربية الجديدة عن الرواية الكلاسيكية ، فانها لاتعد كافية لمنح الرواية العربية الجديدة تميزاً واستقلالاً ، ان ما ميزها هو تأكيدها ان العالم لم يعد متجانساً ، ولم يكن من قبل كذلك ، وان صفة التجانس قد ولت الى غير رجعة ومن هنا فان الرواية العربية الجديدة تقع في دائرة ((النظرة الى العالم)) أو ((رؤية العالم))[٧] . لان الرواية ممارسة إشكالية تضع العالم موضع البحث والتساؤل[٨] . وانها وهي تجابه العالم ، تعي بانه يزداد تعقيداً ، لذا يجب عليها ان تعثر على مواضيع جديدة، وأساليب أخرى في التعبير[٩] .

وبالنظر الى هذه الرؤية الجديدة للعالم التي تبنتها الرواية العربية الجديدة ، فقد حظيت باهتمام كثير من النقاد* ومنهم الناقد ((محمد برادة)) الذي تناول مصطلح الرواية العربية الجديدة بالشرح والتفصيل وبيان الخصائص المميزة لها في كتبه النقدية . وسيحاول البحث ان يسلط الضوء على آراء محمد برادة في هذا المجال لما لها من أهمية وعمق نقدي في المشهد الثقافي والادبي .

اولاً : في مصطلح الرواية العربية الجديدة :

في كتاب ((الرواية العربية واقع وآفاق)) لمجموعة من المؤلفين* ومنهم محمد برادة ، يثير برادة ومنذ مدخل الكتاب الذي حمل عنوان (رواية عربية جديدة) اشكالية صفة ((الجديدة)) التي لحقت بالرواية العربية ، ويرى ان إضافة صفة (الجديدة) الى الرواية العربية فيها إشارة الى التغيرات التي لحقت الاشكاليات المطروحة على المجتمعات العربية خلال السنوات العشرة الاخيرة* وما كان لها من ظلال وتحويرات في مضامين واشكال الرواية[١٠] . فالحيوية التي تحظى بها الرواية العربية الجديدة متأتية من خلال قدرتها على التطور ومواكبة التحولات وصياغة النقد الجذري لانساق الحياة والسلطة وتشخيصاتها[١١] . ويرى ان الروايات المنشورة بعد عام ١٩٦٧ جاءت تحمل معها مؤشرات التجاوز وتعميق الرؤية الواقعية من خلال اشكال جديدة مركبة ، تضرب في اعماق الذات الفردية والجماعية وتحقق التعرية اللازمة عبر فضح الاحتجاج وابراز اشكالية القوة الشعبية المحتسبة زنازن الخوف والسلطوية والوصايات الابوية[١٢] .

ويستعمل محمد برادة في كتابه ((الرواية العربية ورهان التجديد)) مصطلح (الرواية الجديدة) لتوصيف عناصر شكلية ودلالية موظفة بطريقة بارزة من دون ان يعني ذلك ان هذه العناصر لم توجد من قبل في نصوص روائية سابقة زمنياً ، الا ان كيفية توظيفها وسياق انتاجها يكسبانها دلالة وتحققاً مختلفين ، تبدو معهما

((جديدة)) بالقياس الى فترات ماضية من تاريخ الرواية[١٣] . ويحدد روايات مابعد عام ١٩٦٧ تاريخاً للرواية الجديدة لان هذا التاريخ من وجهة نظره يمثل ((انشقاق الرواية العربية عن الخطاب السائد واللغة المتخشبة ، اللذين حاولا طمس الهزائم والتعثرات والاحتماء بإيديولوجيا مضللة ومزيفة للوعي))[١٤] . فالنكبة انتجت اسئلة جديدة صيغت ضمن تصورات ايديولوجية وابداعية ونقدية مما جعل برادة يربط صفة ((الجديدة)) بالتغيرات التي لحقت بالمجتمعات العربية واثرها في مضامين واشكال الرواية بل وفي جميع الاجناس الادبية . فانشقاق الادب العربي بعد هزيمة حزيران هو انشقاق فكري أستتيقي وقيمي أتاح للرواية ان تبدع نصوصاً جريئة شكلاً ومضموناً على نحو ما تبين من خلال روايات تلك الفترة مثل رواية ((موسم الهجرة الى الشمال)) للطيب الصالح ، وجيل الستينات في مصر ((صنع الله ابراهيم ، جمال الغيطاني ، بهاء طاهر ، عبد الحكيم قاسم ، محمد البساطي)) ومجموعة من الروائيين العرب مثل ((تيسير سبول ، هاني الراهب ، غسان كنفاني ، حيدر حيدر، عبد الرحمن منيف ، محمد زفزاف ، غادة السمان ، غائب طعمة فرمان))[١٥] ، وإن الرواية العربية الجديدة من وجهة نظر محمد برادة عكست ما يعتمل في النفوس من تشظٍ وغضب ويأس ، وكأنها تسترد الاصوات التي سرقتها قوى القمع والكبح لتوسع معجم الاحتجاج والمكاشفة[١٦] .

وإن الرواية العربية الجديدة على اختلاف تراكيبها الفنية وأساليبها جاءت لتؤكد ((ان الواقع ليس معطى من البداية وليس واحداً ولا أحادياً ومن ثم لا يمكن بعد الزعم بالقدرة على تصوير الواقع ، انه متعدد وملتصق بجدلية الصيرورة المجتمعية ولذا يتحتم على الروائي ان يغير ادواته ولغته ورؤيته ليتمكن من أن يجعل الرواية أداة معرفة ونقد تساهم في زحزحة التمركز الايديولوجي للطبقات السائدة التي حرصت على الايهام بالوحدة العقائدية والطبقية والايديولوجية))[١٧] .

ثانياً : الخصائص المميزة للرواية العربية الجديدة :

لامس محمد برادة في هذا المجال الكثير من خصائص الرواية العربية الجديدة المتمثلة بـ[١٨]:

١- تشظي الشكل والكتابة في صوغها الادنى .

٢- تهجين اللغة .

٣- نقد المحرمات (الجنس والدين والسياسة) .

٤- تذويت الكتابة .

١ - تشظي الشكل والكتابة في صوغها الادنى :

يُرجع محمد برادة تشظي الشكل الروائي في الرواية العربية الجديدة الى اهتزاز الشكل الواقعي الكلاسيكي المعتمد على سرد خطي ، وإلتزام منظور أحادي ، والطموح الى القبض على الواقع في تجلياته التفصيلية ومنطقة المرئي . ويرى ان عوامل معرفية جديدة زحزحت هذا المفهوم للواقع ، يقف في مقدمتها:

- إثبات التحليل النفسي لتعددية الذات والانا .
- تعايش الخطاب الملفوظ مع طبقات من الحوار الداخلي (المونولوغ) تُنازع الكلام المعلن .

ويرجع برادة تشظي الشكل الروائي في الرواية العربية الى الستينيات من القرن العشرين ، المتمثلة بالنصوص الرائدة مثل ((تلك الرائحة)) لصنع الله ابراهيم (١٩٦٦) و ((انت منذ اليوم)) لتيسير سبول (١٩٦٨) و ((الضحك)) لغالب هلسا (١٩٧١) و ((الجبل الصغير)) لالياس الخوري (١٩٧٧) وروايات ادوارد الخراط على سبيل المثال لا الحصر[١٩].

أما ما يقصده بالكتابة في صوغها الادنى الاقتصاد في اللغة وبعدها عن الاطناب في الوصف واختصار السرد وتعويضه بتفاصيل صغيرة وهذا شانه ان يتيح للقارئ

المشاركة في اعادة تخيل النص[٢٠] . ومن النصوص الروائية التي عُني بها برادة في تحليله لهذين المكونين رواية مصطفى ذكري ((الرسائل)) الصادرة عام ٢٠٠٦ ورواية ((تمارين الورد)) لهناء عطية ٢٠٠٣ ورواية ((وقوف متكرر)) لمحمد صلاح العزب ٢٠٠٦ ورواية ((فاصل للدهشة)) لمحمد الفخراني ٢٠٠٧[٢١] .

٢ – تهجين اللغة :

يعني بها ابداع الكلمات وتلقيحها وتفريغ دلالاتها حتى تبدو ملائمة لحياة المجتمعات وتلاحق التحولات وتسعى الى التعبير عنها لان اللغة عنده تحيل على العالم الخارجي وتؤشر على دلالة محتملة بينه وبين الكون الروائي الذي ينسجه الكاتب ضمن تصورات وتركيبات فنية معينة[٢٢] . وهي فضلاً عن ذلك سبيل الى الاعلان وجود فكرٍ ما ، والفكر لا يوجد من دون تصور شمولي للعلائق بين الانسان والاشياء بينه وبين وظيفة اللغة الهادفة الى الاقتراب من الحقيقة الهاربة باستمرار ... لهذا لا يمكن للغة ان تخلو من علائق مادية وميتافيزيقية مع الكون يتحد من خلالها موقف من يستعمل اللغة في اتجاه معين[٢٣] . فتغير لغة الرواية متصل بسيرورة التغيير الجاري في المجتمع وفق عوامل كثيرة تتعدى إرادة الكاتب[٢٤] .

ويرى ان التهجين اللغوي بهذا المعنى سمة بارزة عند الكثير من الروائيين منذ الشدياق والمويلحي وصولاً الى جيل الستينيات ، ولكنه يتخذ عند كتاب الرواية الجديدة طابعاً بارزاً ووظيفة مغايرة ، لا تخلو من التباس ، فهي تبرز قاموس الكلام المقتبس لإلفاظ اجنبية وتعبيرات متصلة بالحياة اليومية والوسائط التكنولوجية المعوضة لوسائط الاتصال التقليدية[٢٥] . ومن بين النصوص الروائية التي تبنت التهجين اللغوي رواية ((ألعاب الهوى)) لوحيد الطويلة ٢٠٠٤ .

نقد المحرمات (الجنس والدين والسياسة) :

أ- الجنس : يرى برادة ان موضوعة الجنس احتلت حيزاً كبيراً في النصوص الروائية الرائدة وصولاً الى محمد شكري ورؤوف مسعد وفؤاد التكرلي ورشيد

الضعيف وعلوية صبح وعالية ممدوح وخالد خليفة وآخرون . وان أهم ما يميز نصوص ((الرواية الجديدة)) ان الشخوص فيها تتخذ من الغريزة والاحساس الملموس ووصف التفاصيل وسيلة للتعبير عن الجنس حتى لو اتخذ هذا التعبير طابع العنف والممارسة الحيوانية[٢٦] .

وتثير نصوص الرواية الجديدة الانتباه بلغتها وجرأتها واقتحامها لمناطق تعتبر محرمة في عرف الاخلاق السائدة . ومن بين النصوص الجديدة التي توظف موضوعة الجنس رواية ((سحر أسود))لحمدي الجزار ٢٠٠٥ .

ب – الدين : تحتل موضوعة الدين كما يرى برادة حيزاً لا بأس به في الخطاب الروائي لأن الدين لا تنحصر تجلياته في مسائل الاعتقاد بوحدانية الله ، بل تشمل الطقوس والمعاملات والثقافة المتصلة بالدين وترسباتها في اللاوعي . وتتضح العلاقة بالدين في مواقف الشخوص واختياراتهم وسلوكياتهم[٢٧] .

ويتجلى الدين ايضاً من خلال خطاب الطبقة السائدة وتوظيف المؤسسات السياسية له ، الامر الذي جعل فهم الدين موضوع نزاع ومجادلة وصراع في النصوص الروائية التي تحرص على تجسيد العلائق والاختلافات في الرؤية الى العالم . فضلاً عن حضوره وراء التساؤلات الميتافيزيقية التي تلاحق الانسان باستمرار وهو يتلمس موقعه داخل عالم مليء بالتحولات والانقلابات المعرفية[٢٨] . ومن هذا المنطلق يتوقف برادة عند روايات نجيب محفوظ التي ارتبطت بالتطلع الى فهم الانسان والمجتمع فهماً شمولياً يتخطى الوقوف عند المظاهر والشروط المادية ، فرواية ((اولاد حارتنا)) تؤشر على الاهتمام بالدين بوصفه عاملاً جوهرياً في توازن الانسان وعلائقه بالغيب وتجليات القيم الكبرى من حق وعدل وانصاف وخير وشر[٢٩].

أما الدين عند الجيل التالي لنجيب محفوظ فيتخذ بعداً متصلاً أكثر بتأثيره في الحياة الاجتماعية والسياسية واستغلاله من القوى المحافظة التي تتستر وراء تأويلات تبرر الفوارق الطبقية ودونية المرأة والطاعة العمياء لاولي الامر . فضلاً عن ارتباطه بمفهوم

الوجود وتحقيق الكينونة . ومن روايات هذه المرحلة ((فساد الامكنة)) لصبري موسى ، و ((التجليات)) لجمال الغيطاني .

ويقف برادة عند رواية ((بمناسبة الحياة)) لياسر عبد الحافظ ورواية ((تبكي الارض ، ويضحك زحل)) لعبد العزيز الفارسي ورواية ((تغريدة البجعة)) لمكاوي سعيد لبيان حضور الدين فيها وجعله أداة يستغلها أصحاب الدعوات السياسية والايديولوجية لتمرير الخطاب السلفي الماضوي ، ولجم تحرير الجسد والفكر ، وهذا ما يجعل الدين في كثير من النصوص يرتبط بدائرة البطركية وقيمها الوصائية[٣٠] .

جـ - السياسة : اقترنت السياسة من وجهة نظر برادة بظهور الرواية العربية لتعبر عن تطلع عميق الى التحرر من الاستعمار ونزوع الى النهوض وتطوير المجتمع ، أما بعد الاستقلالات التي حصلت عليها الشعوب العربية غدا حضور السياسة في الرواية العربية متصلاً أكثر بانتقاد الاستبداد والدكتاتورية راسماً نماذج للمناضلين في سبيل التغيير ومستحضراً مناخ الاحزاب والتنظيمات الثورية وما يرافقها من صراعات وخيبات وهذا ما يتضح في بعض روايات صنع الله ابراهيم ، وعبد الرحمن منيف وغالب هلسا على سبيل المثال لا الحصر[٣١] . أما النصوص الجديدة التي يقف عندها برادة ليبين أثر السياسة فيها ورصد الخراب الاجتماعي المتحدر من تطبيق سياسة تستبد بالقرار وتحتقر المواطن في زمن العولمة فهي ((ايام وردية)) لعلاء الديب ورواية ((ان تكون عباس العبد)) لاحمد العايدي وغيرها .

د – تذويت الكتابة : يرى برادة ان تذويت الكتابة خاصية تتسم بها النصوص الروائية الجديدة ، ويعني بتذويت الكتابة حرص الروائي على اضفاء سمات ذاتية على كتاباته وذلك من خلال ربط النصوص الروائية بالحياة والتجربة

الشخصيتين ، وجعل صوت الذات الكاتبة حاضراً بين الاصوات الروائية لتمييز محتوى النص عن الخطابات الاخرى التي تعطي الاسبقية للقيم والافكار الغيرية[٣٢] .

ومن هذا المنطق يرى برادة ان الرواية الجديدة تلجأ أكثر فأكثر الى السيرة والتخييل الذاتي لاستحضار العالم وتمثيله فنياً . ومنذ الستينات أطلت نصوص يمتزج فيها السيري بالروائي ، وتتوغل في استكشاف مناطق الذات المسكوت عنها خاصة ما يتعلق بالجنس والعلائق العائلية وأصقاع ((الغربة المقلقة)) المفضية الى تعدد الذات وانقساماتها والى اسئلة الوجود والكينونة[٣٣] .

ولا يعني تذويت الكتابة عند برادة ان الروائي يعبر بكيفية مباشرة عن مشاعره وآرائه الخاصة ، لان ذلك يتنافى مع مقتضيات الشكل الروائي التي تتمثل في عرض جميع المواقف والافكار من دون ان يتخير الكاتب لوجهة نظر معينة ، لذلك فان تذويت الكتابة عنده يتمثل في افساح المجال أمام كل شخصيته وكل صوت داخل الرواية ليعبر عن نفسه من خلال مقومات وتضاريس ذاتية تحقق الاختلاف والتمايز وتتملك من الداخل التجربة المعُبر عنها[٣٤] .

ويرى برادة في رواية (الحارس) لعزت القمحاوي مثالاً على تذويت الكتابة في الرواية الجديدة ؛ إذ يتخذ السرد طابعاً موضوعياً ، متباعداً عن الذات ، لكنه يشيد ذاتية مائزة لشخصية الضابط الحارس ، عبر التخييل والمحكيات التفضيلية التي تضفي تذويتاً على كتابة الرواية[٣٥] . فتذويت الكتابة يتحقق عند برادة من خلال عناصر مختلفة مثل التخييل ومحمول الذاكرة ، وتخصيص الفضاءات واللغة مع حرص الروائي على ابراز ذاتيته المتفاعلة حتى لا تكون علاقة كتابته بعالمه الروائي علاقة استنساخ ومحاكاة ، بل علاقة تأويل ورؤية وإعادة خلق[٣٦] .

ان الحديث عن الخصائص المميزة للرواية الجديدة هو الحديث عن ((كونية)) الرواية العربية عند محمد برادة الذي تابع البحث فيه عبر أربعة محاور هي[٣٧] :

- الكتابة خارج أسيجة الايديولوجيا السائدة .
- تطويع اللغة وانتهاك المقدس .
- التأريخ لزمنية الرماد .
- تأريخ الذات واستعادة الكينونة المغيبة .

فالرواية عند برادة تحولت الى خطاب سياسي يحفر في الروح ويستوعب ما عجزت الدولة عن تمويهه وهذا تحقق بفعل هزيمة ١٩٦٧ التي جعلت الروائيين يكتبون بعيداً من الايديولوجيا السائدة وارتيادها لمناطق الكلام الممنوع ، وتوغلها في ((إنتاج خطاب مركب يمنح من المعيش والمحلوم به، من الذاكرة والتاريخ ، من الاسطوري والواقعي ، من النفسي والجسدي ، كأن الرواية في اندفاعتها الجسور تسترد الاصوات التي سرقتها قوى القمع والكبح، لتوسع معجم الاحتجاج والرفض والمكاشفة))[٣٨] وهذا ما جعل الرواية العربية تمد جسوراً وطيدة مع الرواية في ابعادها الكونية .

ويعزز محمد برادة قوله بكونية الرواية العربية عبر مساهمتها بتجديد اللغة، وتوسيع إمكاناتها التعبيرية وجعلها متطورة على إيقاع العصر والاستكشافات والتجارب الحياتية ، فالرواية المكتوبة بعد الستينات من القرن العشرين والوعي الجريء لكتابها أسهمت في ((خلخلة التقديس الاستسلافي للغة ، وأعطت الاسبقية للتعبير عن الملموسات المستجدة وعما يكون عصب التواصل والتعلم وتعميق المعرفة))[٣٩] .

ان خلخلة التقديس الاستسلافي للغة أدى ((خدش)) صفاء اللغة العربية، لكنه خدش على حد تعبير برادة أفادت منه الرواية العربية على مستوى دقة الوصف وتجسيد التعددية اللغوية والفوضوية القائمة داخل مجتمعاتنا العربية[٤٠].

وتتعزز كونية الرواية العربية عند محمد برادة مرة ثالثة عبر استحياء نصوصها لأزمنة الرماد والرصاص والحرب حيث تحضر الذات والذاكرة والتاريخ وخطابات المرحلة العاكسة للظاهرة الاجتماعية – السياسية المقوضة للآمال . وهذا من شأنه خلق مناخ محلي يؤشر على سيرورة التاريخ العربي المتعثر ، ويلامس ظاهرة كونية طبعت تاريخ الامم ولا تزال[٤١] .

ويؤكد برادة مرة اخرى على كونية الرواية العربية عبر النصوص الروائية التي يمتزج فيها السيري بالروائي وتتوغل في استكشاف مناطق الذات المسكوت عنها ، ومستوحية لاسئلة الوجود والكينونة[٤٢] .

٢ – المعرفة في الرواية الجديدة :

يرى برادة ان المعرفة هي العنصر المحدد لخلفية النص الروائي ومقاصده وعلاقته بصوغ الرؤية للعالم ... والمعارف التي تنقلها الرواية تتوزع بين مجالات النفس والسلوك ، والذاكرة ، ووصف الحياة اليومية ، واستبطان بعض الظاهرات الاجتماعية ، واعادة تأويل التاريخ عبر التخييل[٤٣].

ويرى ان الرواية العربية استطاعت طوال مئة سنة من عمرها أن تقدم معرفة لها خصوصيتها سواء فيما يتصل بتكون المجتمعات العربية الحديثة وتفاعلها مع الاحداث السياسية والاجتماعية ، أو ما يندرج ضمن انتقاد المواقف والمعتقدات المنحرفة[٤٤] ، وتتميز المعرفة التي تحملها الرواية عن بقية المعارف المتداولة ، بانها تربط المعرفة بالتخييل والوصف والسرد ، وتعيد تشخيصها من خلال مناخات وفضاءات تضفي النسبية والحيوية على المعرفة التي تؤطر مسار السرد الروائي[٤٥] .

وتحفل ((الرواية الجديدة)) عند برادة بجانبين معرفيين ، الاول يتصل بابراز التصنيفات الاجتماعية الناجمة عن اتساع المدن ، وجنوح التخطيط الحضري الى الفوضى والعشوائيات ، وتكدس سكان الريف في الضواحي الفاقدة لشروط العمران ، ففي نصوص الرواية الجديدة تطالعنا مشاهد تستحضر العنف وبؤس

العيش لفئات واسعة من المهمشين الذين فقدوا الانتماء الى مجتمعهم بشكل انعكس على سلوكهم ولغتهم النائية الخشنة التي تكشف عن غياب مطلق للاخلاق والقيم والمبادي الدينية ، وتزداد أهمية هذا الجانب من المعرفة في غياب دراسات سوسيولوجية ميدانية ، تلاحق مثل هذهِ الظواهر التي تزعزع بنية المجتمع وقيمته وسلوكياته[٤٦] .

أما الجانب المعرفي الثاني الذي تحفل به الرواية الجديدة فهو إسماع صوت الشبان والشابات الذين لا يحسون بضرورة الاخلاق تحت وطأة تدهور شروط العيش وضغط السلطة البطريركية والقيم الماضوية . وهذهِ المعرفة تصل الى المتلقي عبر توظيف وسائط تقنية ورقمية واستعمال المصطلحات الرائجة في هذا المجال بلغاتها الاجنبية وتصوير السباق المحموم لهؤلاء الشباب الذين يجهدون في شق طريقهم وسط مجتمع مأزوم عاجز عن تنظيم إمكاناته في زمن العولمة الربحية المتفوقة . ولا يعني هذا ان الروايات التي تتصدى لهذه الموضوعات تقدم حلولاً لتلك المشكلات التي تستوجبها ، وانما تهتم بصوغ اسئلة جديدة وجرئية استناداً الى توظيف فضاءات الهامش وصراعات الفرد ضد السلطة[٤٧] .

ومن الروايات الجديدة التي يرى برادة انها تحمل ((معرفة نوعية)) تسعف على الغوص في المتاهات المجتمعية والفردية رواية ((تغريد البجعة)) لمكاوي سعيد ، ورواية ((دع عنك لومي)) لخليل صويلح ، ورواية ((فيلسوف الكرنتيه)) لوجدي الاهدل ، ورواية ((كتيبة الخراب)) لعبد الكريم جويطي ، ورواية ((فاضل للدهشة)) لمحمد الفخراني ، ورواية ((وقوف متكرر)) لمحمد صلاح العزب ، ورواية ((ان تكون عباس العبد)) لأحمد العايدي ، ورواية ((مطر حزيران)) لجبور الدويهي ، ورواية ((القوقعة : يوميات متلصص)) لمصطفى خليفة[٤٨] .

ويعود محمد برادة ليؤكد بان ((المعرفة الروائية)) على جانب كبير من التعقيد ، وانها قد أثارت جدلاً واسعاً في النقد الحديث ، لان تحديد المعرفة الروائية يختلف عن التصور المعرفي العلمي المرتبط بمناهج واختبارات دقيقة. فالمعرفة الروائية ذات خصوصية لانها تتصل بالتجربة المعيشة ، وبالملاحظة والمعاينة ، وتتخذ أحياناً طابع الشهادة على فترة تاريخية او ظاهرة اجتماعية لان الروائي يستطيع ان يلتقط بالمعاينة والتأمل والحدس ، ظاهرات لها صفة الشمولية التي تجعل منها معرفة تضيء السلوك البشري .

الخاتمة :

يتبين لنا مما تقدم عرضه من آراء الناقد المغربي ((محمد برداة)) الآتي :

- ان مصطلح ((الرواية العربية الجديدة)) مرتبط بالتحولات التي شهدتها المجتمعات العربية ، وتبدل القيم ، لان الرواية عند برادة ((الشكل التعبيري الاقدر على التقاط صور وعلامات التحولات من خلال كتابة التاريخ العميق الخفي الممتزج بالزمن المعيش وباسئلة الانسان العربي داخل تاريخه الحديث المتسارع الايقاع ، المزدحم بالاحداث والهزات والحبوطات))[٤٩] .
- ان الرويات المنشورة بعد عام ١٩٦٧ جاءت تحمل معها معنى ((الجدة)) لانها بدأت تنزع عنها أردية الواقعية الفضفاضة وغلالات التلوين الرومانسي لترتاد مجاهل الذات والمجتمع عبر الاستنطاق المتعدد لواقع تتداخل فيه القيم والسلوكيات والمواقف .
- تتمثل خصائص الرواية العربية الجديدة عند برادة بتشظي الشكل والتهجين اللغوي ونقد المحرمات وتذويت الكتابة .
- ان ما يميز الرواية العربية الجديدة هو ما يجعلها ((كونية)) من وجهة نظره ، وكونية الرواية عنده متأنية من الكتابة خارج اسيجة الايديولوجيا السائدة ،

وانتهاك المقدس و استحضار التاريخ وتدوين أزمنة الرصاص والحرب ، واستعادة الكينونة المغيبة عبر حضور الذات .

- اعتماد الرواية المصرية الجديدة مثالاً التحليل اكثر منه لبقية روايات الوطن العربي ، إذ يبدو إنه متأثر بها على الرغم من جود رويات تقف في موازاتها في المغرب العربي والعراق وسوريا ولبنان .
- تعد المعرفة الروائية هي العنصر المحدد لخلفية النص الروائي في مقاصده وعلاقته بصوغ الرؤية للعالم . فالمعارف التي تنقلها الرواية تتوزع بين مجالات النفس والسلوك والذاكرة ، ووصف الحياة اليومية واستبطان الظواهر الاجتماعية عبر التخييل .

هوامش البحث

(١) ينظر : ثارات شهرزاد (فن السرد العربي الحديث) : د . محسن جاسم الموسوي: ٢١ .

(٢) ينظر : قبل نجيب محفوظ وبعده (دراسات في الرواية العربية) : فخري صالح : ١٥٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٦٢ .

(٤) الحساسية الجديدة (مقالات في الظاهرة القصصية) : ادوار الخراط : ١١ .

(٥) ينظر : قضايا الرواية العربية الجديدة : سعيد يقطين : ٦٣ .

(٦) في الرواية العربية الجديدة : فخري صالح : ١٣ .

(٧) ينظر : المصدر نفسه : ١٦ .

(٨) ينظر : الابداع الروائي اليوم (أعمال ومناقشات لقاء الروائيين العرب والفرنسيين) : مجموعة من الكتاب : ٧٤ .

(٩) ينظر : الرواية العربية : روجر آلن : ٣٢٧ .

* من ابرزهم أدوار الخراط وشكري عزيز الماضي وسعيد يقطين وفخري صالح .

* أصل الكتاب أعمال الندوة التي عقدها اتحاد كتاب المغرب للبحث في قضايا واشكالية الرواية العربية الجديدة وقد شارك فيه كتاب وروائيون مغاربة ومشارقة من ابرزهم محمد برادة ومحمود أمين العالم والطاهر بن جلون وادوار الخراط وصنع الله ابراهيم وغيرهم .
* المقصود بالسنوات العشر الاخيرة العقد السبعيني لان الكتاب صدر عن دار ابن رشد في بيروت عام ١٩٨١ .

(١٠) ينظر : الرواية العربية واقع وآفاق : محمد برادة وآخرون : ٦ .

(١١) ينظر : المصدر نفسه : ١٢ .

(١٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٢ .

(١٣) ينظر : الرواية العربية ورهان التجديد : محمد برادة : ٤٧ .

(١٤) المصدر نفسه : ٤٥ .

(١٥) ينظر : الرواية ذاكرة مفتوحة : محمد برادة : ٤٩ .

(١٦) ينظر : المصدر نفسه : ٥٠ .

(١٧) الادب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع (بحوث تمهيدية) : مجموعة من المؤلفين : ٢٠٠ – ٢٠١

(١٨) ينظر : الرواية العربية وررهان التجديد : اه وما بعدها .

(١٩) ينظر : المصدر نفسه : ٥٠ وما بعدها .

(٢٠) ينظر : المصدر نفسه : ٥٢ .

(٢١) ينظر : المصدر نفسه : ٥٢ – ٥٣ .

(٢٢) ينظر : المصدر نفسه : ٥٤ .

(٢٣) الرواية العربية ذاكرة مفتوحة : ١١٣ – ١١٤ .

(٢٤) ينظر : المصدر نفسه : ١١٤ .

(٢٥) ينظر : المصدر نفسه : ٥٥ .

(٢٦) ينظر : المصدر نفسه : ٦٠ .

(٢٧) ينظر : المصدر نفسه : ٦٠ .

(٢٨) ينظر : المصدر نفسه : ٦٠ – ٦١ .

(٢٩) ينظر : المصدر نفسه : ٦١ .

(٣٠) ينظر : المصدر نفسه : ٦٤ .

(٣١) ينظر : المصدر نفسه : ٦٤ .

(٣٢) ينظر : المصدر نفسه : ٦٧ .

(٣٣) ينظر : الرواية العربية (ممكنات السرد) أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر : بحث محمد برادة (الرواية العربية بين المحلية والعالمية / الرواية العربية / الكونية أفقاً) : ٢٧ .

(٣٤) ينظر : الرواية العربية ورهان التجديد : ٦٧ .

(٣٥) ينظر : المصدر نفسه : ٦٧ .

(٣٦) ينظر : المصدر نفسه : ٦٧ .

(٣٧) الرواية العربية (ممكنات السرد) ٢١ – ٢٩ .

(٣٨) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣ .

(٣٩) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤ .

(٤٠) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥ .

(٤١) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ .

(٤٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٧ .

(٤٣) ينظر : الرواية العربية ورهان التجديد : ٦٨ .

(٤٤) ينظر : المصدر نفسه : ٦٨ .

(٤٥) ينظر : المصدر نفسه : ٦٨ .

(٤٦) ينظر : المصدر نفسه : ٦٩ .

(٤٧) ينظر : المصدر نفسه : ٦٩ .

(٤٨) ينظر : المصدر نفسه : ٧٠ .

(٤٩) الادب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع (بحوث تمهيدية) : ١٩٦ .

قائمة المصادر والمراجع

- الابداع الروائي اليوم (أعمال ومناقشات لقاء الوائيين العرب والفرنسيين) مجموعة من الكتاب ، ط ١ ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا : ١٩٩٤ .
- الادب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع (بحوث تمهيدية) : شكري عياد وآخرون ، إشراف : د . عبد المنعم تليمة ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، جامعة الامم المتحدة ، بيروت : ١٩٨٧ .
- ثارات شهرزاد (فن السرد العربي الحديث) : د . محسن جاسم الموسوي ، ط ١ ، دار الآداب ، بيروت : ١٩٩٣ .
- الحساسية الجديدة (مقالات في الظاهرة القصصية) : ادوار الخراط ، ط ١ ، دار الآداب ، بيروت : ١٩٩٣ .
- الرواية ذاكرة مفتوحة : محمد برادة ، ط١ ، آفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة : ٢٠٠٨ .
- الرواية العربية : روجر آلن ، ترجمة : حصة إبراهيم المنيف ، المجلس الاعلى للثقافة ، مصر ، ١٩٩٧ .
- الرواية العربية (ممكنات السرد) ، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٤ .
- الرواية العربية واقع وآفاق : محمد برادة وآخرون : ط١ ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .
- الرواية العربية ورهان التجديد : محمد برادة ، ط ١ ، كتاب دبي الثقافية رقم الاصدار (٤٩)، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع : ٢٠١١ .

- في الرواية العربية الجديدة : فخري صالح ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون منشورات الاختلاف ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- قبل نجيب محفوظ وبعده (دراسات في الرواية العربية) ، فخري صالح ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، ٢٠١٠.
- قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود) : سعيد يقطين ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ٢٠١٢ .